ماذا حدث الساعة الثالثة صباحا في جناح حسني مبارك بواشنطن؟

ابراهيم صالح

التحقيق

في الساعة الثالثة من صباح يوم الجمعة ٢٣ مايو ١٩٨٠ ، اضيئت الأنوار في جناح حسني مبارك في مقر إقامة الوفد المصري بواشنطن . وقبل مضي ساعة كان قد أيقظ معاونيه . وأضيئت باقي حجرات الوفد المصري . وبدأ الوفد اجتماعات عمل متوالية ومكثفة . والزعر رجال الأمن الأمريكي . إن اتصالا لم يحدث مع القاهرة . ولا اذاعت وكالات الانباء شيئا غير عادي . فلماذا لم ينم الوفد المصري ؟ ! ! . .

كانت الحقيقة بساطة . لقد ناموا كغايتهم . ولكن أجهزة اجسامهم بدأت تيقظ في المواعيد التي تعودت عليها للقالها في القاهرة . لم تراع أجهزة أجسامهم . ولا تنبهت أجهزة الأمن الأمريكي . إلى وجود فروق في التوقيت (٦ ساعات) بين القاهرة وواشنطن . كان كل الاهتمام والتركيز على . . عدم وجود فروق في المواقف بين القاهرة وواشنطن ! !

الرئيس كارتر أبلغ السيد حسني مبارك موافقه على جميع طلبات الرئيس السادات

هكذا كانت بداية عمل ومباحثات السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية . في واشنطن . وفيما أيضا مؤشر إلى النتائج ولكن . بعد البداية أحداث كثيرة تجعل للنتائج معنى ومغزى . وقبل البداية أحداث كثيرة تجعل للرحلة أسبابا وأهدافا .

ولنبدأ تساؤلاتنا مما قبل البداية . . إلى ما بعد النتائج .

ما قبل البداية هو ، الجو العام ، الذي جعل هذه الرحلة ضرورية ، ودفع الرئيس السادات إلى اتخاذ القرار بها . لقد وجدت مصر نفسها تواجه موقفين .

الأول . موقف أمني مع استمرار التحرشات بمصر . وتحركات الاتحاف في أفريقيا . وتحركات مريبة في ليبيا . وإثارة إثيوبيا لموضوع مياه النيل وتحويلها إلى سيناء المصرية . وهذا الموقف يضع مصر أمام التزاماتها الأمنية في المنطقة .

الثاني . موقف سياسي ناشيء عن ركود مباحثات الحكم الذاتي الفلسطيني . لما جعلها متوقفة من الناحية العملية . فلا اجتماعات على أي مستوى .

■ لماذا ؟

– بسبب تحجر الموقف الاسرائيلي في المفاوضات وجمودة . محاولة بذلك التخلص من المأزق الذي وجدت نفسها فيه . بمحاولة إلقاء اللوم على مصر وإيهامها بأنها التي انشأكل حول مواقف اسرائيلية معروفة مسبقا .

■ وكيف وصلت اسرائيل إلى هذا الموقف ؟

اكتشاف اسرائيلي ! !

– لقد اكتشفت اسرائيل فجأة – ! ! – أن هناك عوامل كثيرة تعمل لصالح القضية الفلسطينية . على عكس ماكانت هي تتصور أنها قادرة أن تفعل . مثلا :

١ – يوقيعها هي شخصيا على اتفاقية كامب ديفيد . اعترفت بوجود الشعب الفلسطيني . وبحقوقه المشروعة . والتزامها بالتفاوض مع ممثليه . واختيار الوضع الحالي في الضفة الغربية وغزة غير نهائي . وهي أوضاع تتحرك بقوة دفع ذاتي في اتجاه معاكس للأهداف الإسرائيلية الخفية .

٢ – إجماع عالمي على أن حل المشكلة الفلسطينية هو جوهر عملية السلام كلها . وأن الأمن لكل الأطراف وليس لإسرائيل فقط .

٣ – رفض عالمي لسياسة الاستيطان

٤ – رفض عالمي لإجراءات اسرائيل في القدس ومحاولة جعلها عاصمة موحدة .

٥ – وبالتالي . رفض دولي لكل مواقف إسرائيل في مفاوضات الحكم الذاتي الفلسطيني .

وهكذا بدأت اسرائيل تعيش في حالة العادة عكس سياسي في عملية السلام . السلام الفلسطيني بالذات . وأمام إحساسها بالعجز راحت تتلفت رأسها في الرمال . ومالك النظريات الصهيونية التوسعية . حتى لا ترى الواقع . الواقع في داخلها . والواقع في المنطقة . والواقع العالمي . وفي خطة يأس أعلنت اسرائيل عن اعتزامات لبناء ١٤ مستوطنة جديدة . وقدمت مشروع قانون لتكييف تحمل القدس عاصمة لإسرائيل .

وثار الرأي العام العالمي . وكان لابد لمصر أن تتحرك .

□ في يوم الخميس ١٥ مايو اصدرت مصر قرارها بوقف المفاوضات

□ في الساعة الثالثة والنصف صباح يوم الجمعة ١٦ مايو . كان الدكتور أسامة الباز وكيل أول وزارة الخارجية في مكتبه . وحتى الساعة التاسعة مساء – أي على مدى اثنتي عشرة ساعة ونصف الساعة – يرد على استفسارات الرأي العام العالمي ممثلا في مراسلي الصحف والاذاعات والتليفزيون .

وقالت مصر رأيها بوضوح . إنها على استعداد لاستئناف المفاوضات في أية لحظة . ولكن . بدون شروط مسبقة .

■ أليس طلب مصر أشياء معينة من اسرائيل قبل بدء التفاوض يعتبر شروطا مسبقة ؟

– نحن لا نطلب شيئا جديدا . فقط إبقاء الحال على ما هو عليه . ولحكم نتيجة التفاوض . وكل شيء قابل للتفاوض . هكذا طلبت اسرائيل منا البداية . فلماذا تتراجع الآن ؟ !

■ وأين شروط اسرائيل المسبقة ؟

– ما تفعله الآن . نحن لا نذكر على اسرائيل أن يكون لها مواقف في موضوعات المفاوضات . فنحن أيضا لنا مواقفنا . فليكن لها مواقف في موضوع القدس . أو سلطات الحكم الذاتي . أو تغيير فكرة الأمن على هواها . أما أن تتحول المواقف إلى قرارات . والقرارات إلى اجراءات . والاجراءات إلى تنفيذ . فهذه هي أقصى صور الشروط المسبقة . صورة الأمر الواقع ومحاولة فرضه على المفاوضات مسبقا . فإذا إذن التفاوض . إذا كانت هي تحسم من جانب واحد – جانبا – الموضوعات التي تتفاوض حولها .

القرار

□ في يوم السبت ١٧ مايو . وبعد اجتماعات ودراسات لتقرير الموقف . اتخذ الرئيس أنور السادات قراره برحلة عاجلة إلى واشنطن . وأن يمثل مصر في ذلك السيد حسني مبارك

فواشنطن كان يجب أن تكون البداية بالنسبة للموقف بشقيه . الأمني والسياسي . فهي أحد المصادر الرئيسية للسلاح المصري . وهي الشريك الثالث الفعال والكامل في مفاوضات الحكم الذاتي الفلسطيني . وهي برفضها – بالنسبة لإسرائيل بالتحديد – صاحبة ٩٩٪ من أوراق اللعبة .

أما اختيار السيد حسني مبارك . فلأن هذه المباحثات تتطلب حديثا وقرارا على مستوى عال . وقد حقق نائب الرئيس كسباسي نجاحا واضحا في رحلاته الخارجية السابقة . فضلا عما حقق – كطيار – نجاحا تاريخيا للطيران المصري في نصر أكتوبر العظيم . ولذلك فليس غريبا أن تجتذب « طلعاته » السياسية في عددها من « طلعاته » القتالية والتدريبية . فقد قام حتى الآن بحوالي عشرين رحلة خارجية تضمنت حوالي

٢٢٠ ، طائرة ، فى ١٠٠ زيارة لحوالى ٣٥ دولة .

فبعض الدول زارها أكثر من مرة ، أطول رحلاته استغرقت ثلاثة أسابيع زار فيها الصين وكوريا الديمقراطية والولايات المتحدة الأمريكية . وأكثر رحلاته زار فيها ١٧ دولة فى خمسة عشر يوما .

□ فى يوم الأحد ١٨ مايو أرسلت مصر إلى الولايات المتحدة ، من خلال السفير الأمريكى فى القاهرة والسفير المصرى فى واشنطن ، تبدى رغبتها فى إتمام هذه الزيارة .

وفى نفس اليوم وصل الرد فورا بالترحيب .

□ وتحديد يوم الخميس ٢٢ مايو موعدا لبدء الرحلة .

طلبات مقبولة

وفى الساعة الثالثة صباحا بتوقيت واشنطن (التاسعة صباحا بتوقيت القاهرة) بدأ السيد حسنى مبارك نشاطه . بدأ باجتماع مع أعضاء الوفد المرافق له ، وانتهى باجتماع مع الدكتور مصطفى خليل الذى كان قد سبق نائب الرئيس إلى هناك (فى زيارة خاصة) وقام بالاتصالات على جانب كبير من الأهمية . وكان توقيت بداية هذه الاجتماعات هو الذى أزعج الأمن الأمريكى .

أما المباحثات والمؤتمرات التى تعقبها ، فلن يتسنى لى عالمى بقول . ، الجواب بيان من عنوانه) . والعنوان هنا هو أول لقاء فى هذه الرحلة .

كانت الساعة الحادية عشرة فى واشنطن . الرئيس كارتر يستقبل السيد حسنى مبارك فى البيت الأبيض بترحاب شديد . ويهنئ نائب الرئيس فى أول الرئيس كارتر . فيضحك كارتر قائلا : أنا لا أستطيع أن أرفض طلبا للرئيس السادات . وقال : "your wish is our command" ثم استأنف قائلا : بل . لا يستطيع أى مسئول أمريكى أن يرفض طلبا للرئيس السادات ، لأنه أكثر شعبية هنا من أى مسئول أمريكى ! !

وانهد الاثنان وعدهما إلى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض . وأغلق الباب خلفهما . وفى الجانب الآخر من الباب كان يجلس ماسكى وزير خارجية أمريكا ، وبرزينسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى ، و د . أسامة الباز وكيل أول وزارة الخارجية المصرية ، و د . أشرف غربال سفير مصر فى واشنطن .

وعندما فتح الباب وخرج الرئيس الأمريكى ونائب الرئيس المصرى ، نظر الرئيس كارتر إلى أعضاء الوفدين ، وقال ضاحكا : « أعتقد أننا لسنا فى حاجة إليكم . فأنا موافق على كل طلبات الرئيس السادات . ولكن ، لعلكم تريدون معرفة ما تم من باب العلم بالشىء . . لا مانع . . سنقول لكم » ! !

هكذا كانت البداية . فكانت أيضا ٩٠٪ من انجازات الرحلة .

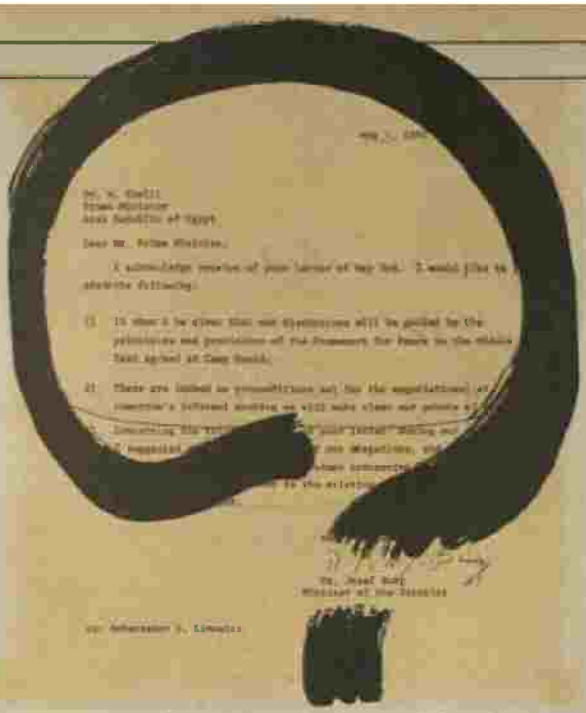

خطاب بورج خليل بشروط التفاوض على أساس كامب ديفيد وبدون شروط مسبقة

أما ماحدث بعد ذلك فلم يكن أكثر من اجتماعات لوضع التفاصيل .

رسالة إلى إسرائيل

كان اللقاء الثانى مع ماسكى وزير الخارجية على مأدبة غداء . وماسكى من ولاية « مين » ، ولا يحبه طعام واشنطن . وقال نائب الرئيس إنه كان يتمنى أن يكون الطعام من مين . وأشهر أصنافها الخضرى والبطاطس .

ولقد انتهى هذا اللقاء بقبول المرافق السياسى المصرى بدون تحفظ .

وتنفيذا لذلك بعث السفير ليبوريس ممثل الرئيس كارتر فى مفاوضات الحكم الذاتى ، برسالة إلى د . يوسف بورج ، أثناء وجود الوفد المصرى هناك . طلب فيها أن تتعهد اسرائيل بعدم اتخاذ أى إجراءات فيما يتعلق بالقدس والضفة الغربية وغزة . وطالبها بأن تسرع فى اتخاذ اجراءات بناء الثقة التى سبق الاتفاق عليها .

ولم تعلق أمريكا رضا حتى الآن ! !

واجراءات بناء الثقة هذه ، كانت مصر قد سلمت بها مذكرات للأطراف المعنية بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٧٨ . وتتضمن نقل الأدوات العسكرية الإسرائيلية خارج المدن الفلسطينية ، والافراج عن المعتقلين والمحتجزين السياسيين ، والسماح بعودة بعض النازحين إلى ديارهم ، ورفع الحظر عن النشاط السياسى والاجتماعات .

ولم تفعل إسرائيل شيئا حقيقيا حتى الآن ! !

وزاد من اقناع أمريكا بموقف مصر ، أن د . يوسف بورج ، وزير داخلية اسرائيل ورئيس وفدها فى مفاوضات الحكم الذاتى ، كان قد أرسل خطابا إلى د . مصطفى خليل يوم ٥ مايو ١٩٨٠ ، ردا على خطاب من د . خليل إليه بتاريخ ٣ مايو ١٩٨٠ . يوافق فيه على أن المفاوضات قائمة على مبادىء ونصوص كامب ديفيد ، وبدون شروط مسبقة .

ولكن اسرائيل تراجعت بالأفعال . ليس مجرد الأقوال .

ولدى مدير وكالة رويتر من مقارنا تل أبيب ، تتضمن نصوص قرارات وزير المالية الإسرائيلى بالاستيلاء على أراضى السكان العرب فى الضفة الغربية . بل . فى القدس العربية

وسلاح إلى مصر

ولم يستغرق اللقاء مع براون وزير دفاع أمريكا جهدا . فبعد موافقة الرئيس كارتر ، قام براون بوضع تفاصيل تعجيل مواعيد واجراءات تسليم الأسلحة التى اشترتها مصر

رافع برزينسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى ، بوجهة نظر مصر فى الأمن فى المنطقة . وموقف مصر بالنسبة للأحداث الجارية حولها ودورها فيها .

وكان اللقاء بين نائب الرئيس وبرزينسكى مرحا . حتى إن برزينسكى دعاه إلى مباراة فى التنس . ولكن نائب الرئيس اعتذر لضيق الوقت وكثرة اللقاءات ، ووعد أن تتم هذه المباراة فى زيارة برزينسكى القادمة إلى مصر .

لقد استطاعت مصر فى هذه المباحثات ، أن تصل إلى تفاهم تام مع الولايات المتحدة الأمريكية حول الموقف القائم الآن فعلا . والخطوات القادمة . والظروف التى يمكن أن تساعد فى تلافيها مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى . وما الذى يجب عمله لتحريك الموقف إذا لم يحدث تقدم فى تلك المفاوضات

وأوربا أيضا

وفى طريق العودة من واشنطن إلى القاهرة ، شهدت أوربا نشاطا مصريا واضحا ومشرفا . فقد توقف السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ، فى كل من ألمانيا الغربية وبريطانيا فى مباحثات هامة . وفى نفس الوقت كان د . بطرس غالى فى زيارة لإيطاليا .

فبعد أيام تجمع دول أوربا لتحدث بصفة رئيسية موقفها من مشكلة الشرق الأوسط . وهناك عناصر هامة وراء كل هذا الاهتمام الأوربى بالمشكلة . بينها مصالح أوربا الخاصة . ومصالح العرب بصفة عامة . وازدياد الوعى السياسى الأوربى بالمشكلة الفلسطينية . وأنها جوهر عملية السلام كلها فى الشرق الأوسط .

وقد استطاع نائب الرئيس المصرى أن يصل إلى تفاهم واضح مع أوربا فى هذا الشأن . واقتنعت عواصم مصر . وبأن الأسلوب المصرى هو الأسلوب السلمى الوحيد للوصول إلى حل للمشكلة الفلسطينية المعقدة . وبالتالى فإنها يجب ألا تتحرك بعيدا عن طريق مصر . ولا خارج إطار كامب ديفيد . وعلى هذا فستكتفى أوربا فى اجتماعها القادم بإصدار « بيان سياسى » مرتبا فى الموقف . ترفض فيه سياسة المستوطنات . واجراءات القدس . وتحث إسرائيل فى مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى .

فى ألمانيا اجتمع السيد حسنى مبارك مع جنشر وزير الخارجية . لأن المستشار شميت كان فى جولة سياسية انتخابية . وقد ظل شميت يحاول الاتصال تليفونيا بنائب الرئيس المصرى حتى استطاع أن يلحق به فى المطار قبل سفره

وفى لندن اجتمع نائب الرئيس ، وسير كالنر رئيسة الوزراء ، وكاريتجتون وزير خارجيتها . ومن هناك جرى اتصال تليفونى بينه وبين د . بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية . الذى كان قد وصل إلى روما . لتنسيق الموقف المصرى مع أوربا . والاطلاع على نتائج مباحثات نائب الرئيس فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية وبريطانيا

□ □ □

والآن . بعد أن استقرت عجلات طائرة السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية على أرض مصر . ماذا بعد ذلك ؟ . . ما هى التوقعات ؟ !

□ واضحة . . وبسيطة .

نحن زرعنا بذرة صالحة وقوية . وأحد العناصر الرئيسية فى الزراعة . الصبر . وبعض الزرع يزهر فى الخريف . وإن تأخرت الثمار إلى الشتاء ! !

□